

الباب الثالث

محمد علي الصابوني وصفوة التفاسير

في هذا الباب سيبين الباحث ما هو محمد علي الصابوني، ومن شيوخه وكيف رحلته في العلم، وسيبين أيضا في هذا الباب مؤلفاته.

أ. محمد علي الصابوني حياته ورحلته

١. حياة الشيخ محمد علي الصابوني

في سنة ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٨ م ولد محمد علي الصابوني في سوريا في مدينة حلب (Aleppo)^{٨٧}. وكان الصابوني في أسرة عريقة بالعلم، ووالده وهو من أحد العلماء الكبير في مدينة حلب. إسمه الكامل محمد علي بن جميل الصابوني^{٨٨}. والآن الشيخ محمد علي الصابوني وهو من أحد الأساتذ بجامعة أم القرى بمكة المكرمة. وعمره في هذه العام سبعة وثمانون سنة.

٢. دراسته

^{٨٧} السيد محمد علي إيازي، المفسرون حياتهم ومنهجهم (دون المكان: وزرة الثقافة وإرشاد الإسلام، ١٤١٤ هـ) ٥٠٧.

^{٨٨} فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، إتجاهات التفسير في العصر الرابع (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧) ٤٤٦.

تلقى محمد علي الصابوني علوم العربية والفرائض وعلوم الدين على يد والده الشيخ جميل، وحفظ القرآن في الكتاب وأكمل حفظه في الثناوية وهو في سن مبكرة. وكان لمحمد علي الصابوني دراسة على كبار علماء سوريا منذ نعومة أظفاره فهو قد نشأ محبا للعلم، راغبا في تلقيه على الشيوخ الأجلاء. وقد كان من أبرز شيوخه:

(أ). فضيلة الشيخ محمد نجيب سراج عالم الشهباء (درس على يديه التفسير والحديث).

(ب). فضيلة الشيخ أحمد الشماع (درس على يديه الفقه الحنفي في الحسرية).

(ج). فضيلة الشيخ محمد سعيد الإدلي.

(د). فضيلة الشيخ راغب الطباخ (شيخه في التاريخ).

(هـ). فضيلة الشيخ محمد نجيب خياطة شيخ القراء. وغيرهم من العلماء والشيوخ الأفاضل

في ذلك العصر، وكان يحضر دروسا خاصة على أيدي بعض الشيوخ في المساجد والبيوت.^{٨٩}

تلقى محمد علي الصابوني الدراسة النظامية في المدارس الحكومية، ولما حصل على الشهادة الابتدائية إنتسب إلى إعدادية وثانوية تجارية فدرس فيها سنة واحدة. ولما لم توافق ميوله العلمي هجر الإعدادية التجارية وانتقل إلى الثانوية الشرعية التي كانت تسمى "الحسرية" في مدينة حلب وفيها درس الإعدادية والثانوية. وكانت دراسته فيها مزدوجة تجمع بين العلوم الشرعية والعلوم الكونية

^{٨٩}رابطة العلماء السوريين، مجلة بشائر الإسلام، (دون المكان: دون النشر، ٢٠١٠) ٩.

التي كانت تدرس في وزارة المعارف، فقد كانت المواد الشرعية كلها من التفسير والحديث والفقہ والأصول والفرائض وسائر العلوم الشرعية إلى جانب الكيمياء والفيزياء والجبر والهندسة والتاريخ والجغرافيا واللغة الإنجليزية تدرس أيضا فيها. فكانت دراسته جامعة بين الدراسة الشرعية والدراسة العصرية، وقد تخرج في الثانوية الشرعية في سنة ١٩٤٩ م.^{٩٠}

ولما أنهى دراسته الثانوية بتفوق ابتعثته وزارة الأوقاف السورية إلى الأزهار الشريف بالقاهرة على نفقتها للدراسة الجامعة، فحصل على شهادة كلية الشريعة منها بتفوق سنة ١٩٥٢ م، ثم أتم دراسته التخصص فتخرج في سنة ١٩٥٤ م في الأزهار الشريف حاصلا على شهادة "العالمية في تخصص القضاء الشرعي". وكانت هذه الشهادة أعلى الشهادات في ذلك العصر، وهي تعدل شهادة الدكتور حاليا، وقد نالها بتفوق وامتيياز.^{٩١}

رجع بعد دراسته في مصر إلى بلده (سوريا) فعين أستاذا لمادة الثقافة الإسلامية في ثانويات حلب ودور المعلمين، وبقي في التدريس ثماني سنوات منذ سنة ١٩٥٥ م إلى سنة ١٩٦٢ م. وانتدب إلى المملكة العربية السعودية أستاذا معارفا من وزارة التربية في سوريا للتدريس بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية وكلية التربية بالجامعة بمكة المكرمة. وكان على رأس البعثة السورية إلى المملكة في ذلك الوقت، فدرس فيها ما يقارب ثمانية وعشرين عاما وتخرج على يديه أساتذة الجامعة في هذه المدة الطويلة.

^{٩٠}رابطة العلماء السوريين، مجلة بشائر الإسلام...، ٩.

^{٩١}رابطة العلماء السوريين، مجلة بشائر الإسلام، (دون المكان: دون النشر، ٢٠١٠) ١٠.

ونظرا لنشاطه العلمي في البحث والتأليف فقد رأت جامعة أم القرى أن تسند إليه تحقيق بعض كتب التراث الإسلامي، فعين باحثا علميا في مركز البحث العلمي وإحياء التراث العلمي. فاشتغل في تحقيق كتاب عظيم في التفسير يسمى "معاني القرآن" للإمام جعفر النحاس المتوفى في سنة ٣٣٨ هـ، والمخطوطة نسخة فريدة في العلم لا يوجد لها ثانية. فقام بتحقيقها على الوجه الأكمل بالإستعانة بالمراجع الكثيرة بين يديه من كتب التفسير واللغة والحديث وغيرها من الكتب التي اعتمد عليها.

وقد خرج الكتاب في ستة أجزاء وطبع باسم جامعة أم القرى بمكة المكرمة مركز البحث العلمي وإحياء التراث وبعد ذلك انتقل الشيخ محمد علي الصابوني للعمل في رابطة العالم الإسلامي مستشارا في هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وبقي فيها عدة سنوات قبل أن يفرغ للتأليف والبحث العلمي.^{٩٢}

ولا يزال الشيخ محمد علي الصابوني إلى الآن في جامعة أم القرى بمكة المكرمة بعد أن مضى فيها ثمان وعشرين سنة ما بين التدريس والتأليف.

٣. مؤلفاته

^{٩٢} رابطة العلماء السوريين، مجلة بشائر الإسلام، (دون المكان: دون النشر، ٢٠١٠) ١١.

مؤلفات محمد علي الصابوني كثير، ومن مؤلفاته هي^{٩٣}: صفوة التفاسير، ومن كنوز السنة، وروائع البيان في تفسير آيات الأحكام، والتبيان في علوم القرآن، ومختصر تفسير ابن كثير، وقبس من نور القرآن، وتنوير الأذهان من تفسير روح البيان.

٤. الثناء إليه

قال فضيلة الشيخ عبد الله الخياط خطيب المسجد الحرام والمستشار بوزارة المعارف السعودية في مقدمة تفسير روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن أن فضيلة الشيخ محمد علي الصابوني غني عن التعريف لنشاطه البارز في حقل العلم والمعرفة، فهو ينتهز الفرصة ويسابق الزمن في إخراج كتب علمية هادية هادفة نافعة هي نتيجة الدراسات الطويلة والبحث والإستقصاء. كان من بينها كتابه الذي تقدمه اليوم لطلاب العلم بل العلماء أيضا وهو في مجلدين ضخمين هما من خير ما ألف في هذا الباب على ما رأي ذلك لأنها جمعا بين التأليف القديم من حيث غزارة المادة وخصب الفكرة، وبين التأليف الجديد من حيث العرض والتنسيق وسهولة الأسلوب.^{٩٤}

ب. صفوة التفاسير

^{٩٣} السيد محمد علي إيازي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، (دون المكان: وزارة الثقافة وإرشاد الإسلامي،

١٤١٤ هـ) ٥٠٨.

^{٩٤} محمد علي الصابوني، روائع البيان تفسير آيات القرآن، (بيروت: المكتبة العصرية، دون التاريخ) ٦.

وفي هذه المناسبة، بدأ الباحث عن كلام صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني التي فيها إستعمل علم المناسبة في تنظيمه، وقال محمد علي الصابوني: مكثت في تأليفه خمس سنين وانتهيت في عام ١٣٩٨ هـ.^{٩٥} سيين الباحث عن هذا الكتاب إختصارا.

١. التعريف العام

تفسير موجز، شامل لجميع آيات القرآن، كما جاء في عنوان الكتاب: جامع بين المأثور والمعقول مستمد من أوثق كتب التفسير كالطبري والكشاف والآلوسي وابن كثير والبحر المحيط وغيرها بأسلوب ميسر وتنظيم حديث مع العناية بالوجوه البيانية واللغوية.^{٩٦}

قال المؤلف في مقدمة تفسيره في بيان غرضه من تأليف الكتاب: "وإذا كان المسلم قد اضطرتة الدنيا ليشغل وقته في تحصيل معاشه وضاق أيامه عن الرجوع إلى تفسير الكبيرة التي خدم بها أسلافنا كتاب الله تعالى تبيانا وتفصيلا لآياته. فإن من واجب العلماء اليوم أن يبذلوا جهدهم ليتيسر فهمه علي الناس بأسلوب واضح وبيان ناصح لاحشو فيه ولا تطويل ولا تعقيد ولا تكلف، وإن يبرزوا ما في القرآن من روعة الإعجاز والبيان بما يتفق روح الحديث ويلبي حاجة الشباب المثقف المتعطش إلى التزود من علوم ومعارف القرآن الكريم. ولم أجد تفسيراً لكتاب الله رغم الحاجة إليه والسؤال عنه

^{٩٥} محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، الجزء الأول (القاهرة: دار النشر، ٢٠٠١) ٥.

^{٩٦} السيد محمد علي إيازي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، (دون المكان: وزرة الثقافة وإرشاد الإسلامي،

ورغبتهم فيه، فعزمت علي القيام بهذا العمل مستعينا بالله الكريم. وقد أسميت كتابي "صفوة التفاسير" وذلك لأنه جامع لعيون ما في التفسير الكبيرة المفصلة مع الإختصار والترتيب والوضوح والبيان".^{٩٧}

٢. منهجه

قد سلك المؤلف لتفسير الكتاب العزيز الأسلوب الآتي: بدأ باسم السورة وبيان إجمالي لها وتوضيح مقاصدها الأساسية، ثم بيان المناسبة بين الآيات السابقات والآيات الاحقة، ثم اللغة مع بيان الإشتقاق اللغوي والشواهد العربية وذكر سبب النزول، ثم ورد في التفسير والبلاغة والفوائد واللطائف المربوطة بالآية.^{٩٨}

فعلي هذا، كان منهج محمد علي الصابوني في صفوة التفاسير جمع مافي التفسير بين المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم وآله والصحابة والتابعين من كتب أهل السنة والجماعة وجمع المعقول بأسلوب واضح وطريقة حديثة سهلة، ومن مميزاته ذكر خلاصة المقاصد الأساسية لها وإختيار التفسير من أمهات كتب التفسير التي هي مرجع عام.^{٩٩}

^{٩٧} السيد محمد علي إيازي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، (دون المكان: وزارة الثقافة وإرشاد الإسلامي، ١٤١٤ هـ) ٥٠٩. وأنظر المقدمة في كتاب صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني، (القاهرة: دار النشر: ٢٠٠١) ١٥.

^{٩٨} السيد محمد علي إيازي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، (دون المكان: وزارة الثقافة وإرشاد الإسلامي، ١٤١٤ هـ) ٥٠٩.

^{٩٩} السيد محمد علي إيازي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، (دون المكان: وزارة الثقافة وإرشاد الإسلامي، ١٤١٤ هـ) ٥١٠.

وكان إعتقاد محمد علي الصابوني علي التفسير التي سبق ذكرها مع الإشارة إلى أسماء مؤلفيها والرجوع إليها من دون مقارنة بينها، بل إختيار أقوالهم كان بمعنى الترجيح والتأيد وأيضا، يذكر الأحكام الفقهية بشكل موجز وإن كان له تفسير آخر مختص بأيات الأحكام.^{١٠٠}

وكان موقفه في المباحث الكلامية والإعتقادية موقف الأشاعرة من أهل السنة كمسألة الرؤية والعرش وتفسير الكرسي وصفة الوجه والإستواء وغيرها من الموضوعات، وإن خالف في كثير من الموضوعات السلفية، وعلى سبيل المثال نقلت كلامه في ذيل آية: (وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ)^{١٠١} حيث قال: لما ذكر تعالى أن الناس يؤثرون الدنيا ولذائدها الفانية علي الآخرة ومسراتها الباقية، وصف ما يكون يوم القيامة من انقسام الخلق إلى فريقين: أبرار، وفجار والمعنى وجوه أهل السعادة يوم القيامة مشرقة حسنة مضيئة، من أثر النعيم، وبشاشة السرور عليها، كقوله تعالى {تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النِّعَمِ} {إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ} أي تنظر إلى جلال ربها، وتهيم في جماله".

والمسترسل في القراءة في صفوة التفسير يرى بكل وضوح منهج مؤلفه فيه وكيف أن مؤلفه إلتزم بهذا المنهج من أول كتابه إلى آخره، ويتضح منهج محمد علي الصابوني في تفسيره من خلال النقاط التالية التي سطرها في مقدمة تفسيره، فقال: "وقد سلكت لتفسير الكتاب العزيز الأسلوب الآتي: ١٠٢"

^{١٠٠} السيد محمد علي إيازي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، (دون المكان: وزارة الثقافة وإرشاد الإسلام،

١٤١٤ هـ) ٥١٠.

^{١٠١} القرآن في سورة القيامة: ٢٢-٢٣.

^{١٠٢} محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، (القاهرة: دار النشر: ٢٠٠١) ١٥.

أولاً: بين يدي السورة، وهو بيان إجمالي للسورة الكريمة وتوضيح مقاصدها الأساسية.

ثانياً: المناسبة بين الآيات السابقة والآيات اللاحقة.

ثالثاً: اللغة مع بيان الإشتقاق اللغوي والشواهد العربية.

رابعاً: سبب النزول.

خامساً: تفسير أية القرآن.

سادساً: البلاغة.

سابعاً: الفوائد واللطائف.

فالخلاصة: هو تفسير توسط فيه المؤلف في مسلكه العلمي، ليسهل فهمه علي طلبة العلم

بأسلوب مبسط وعبارات ميسرة وإيضاحات جديدة جيدة مع العناية ببذل الجهد ليتيسر فهم كلام

الله المجيد ببيان تحليلي تربوي.^{١٠٣}

^{١٠٣} السيد محمد علي إيازي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، (دون المكان: وزارة الثقافة وإرشاد الإسلامى،